بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ليس أبو العلاء المعرى بحاجة الى تقدمة يقدم بها شيء من كتاباته فلكل قارىء وقارئة نصيب من معرفة شيخ المعرة أبي العلاء ، وإنما أريد هنا أن ألفت نظر القارىء الكريم الى ما هناك من فرق فى أسلوب المكاتبة وآدابها وماجرت عليه في ذلك العصر من مودة واخاء وبين ماهو جار بيننا الآن

أما علو الكتابة فيرجع طبعا الى مكانة الكاتب العلمية والوسط الذى يراسله ، أماماقد يتوهمه بعض المطلعين على هذه العبارات من التكلف والتعمق فلا يرجع الا الى ضعف اللغة فى عصرعنها فى آخر ،ولا شك أن عصرأبي العلاء كان أعلا من عصرنا لغة وأقرب لحقيقتها فهما لأنا مازلنا فى مستهل الطريق المدرك

ترجمة

أبي العلاء المعرى

أبو العلاء المعرى هو أبو العلاء بن احمد بن عبدالله بن سليمان ابن محمد بن سليمان بن أحمد بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة ابن أنور بن أسحم بن أرقم بن النعمان بن عدى بن غطفان بن عمرو ابن بريح بن جزيمة بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب ابن خوان بن عمران بن الحافة بن قضاعة التنوخى المعرى الشاعر اللغوى الفيلسوف المعروف

وهو عربى النسب من قبيلة تنوخ من بطون قضاعة من بيت علم وفضل

ولد رحمه الله ببلدة بين حماة وحلب ببلاد الشام كانت تعرف بالمعرة فقط حتى اذا دفن بها النعمان بن البشير الصحابى أطلق عليها اسم ـ معرة النعمان ـ وكان مولد أبى العلاء بها عند غروب شمس يوم الجمعة السابع والعشرين من ربيع الاول لسنة ثلاثمائة وثلاثة وستين هجرية وما كاد يبلغ الثالثة من عمره حتى أصابه الجدرى الذى ذهب ببصره فعمي طفلا صغيرا

*
* *

قرأ النحو واللغة العربية على أبيه وغيره من أئمة زمانه كمحمد ابن عبد الله بن سعد النحوى ، وقال الشعر وعمره احد عشر عاماً وكان (رحمه الله) شديد الذكاء قوى الحافظة جدا حتى كان يحفظ كل مايسمعه مرة واحدة ونوادره فى ذلك كثيرة منها مايحكى أن تاجرين اختصما على مقربة منه بحيث يسمع صوتهما وكانا يتكلمان بغير العربية ولم يعرف أبو العلاء غيرها . ثم اتفقا على حساب بينهما أثبتاه فى سند يحفظه صاحب الدين وبعد ذلك بخمسة وعشرين عاما مات الدائن وأنكر المدين إذ افتقد الورثة السند فلم يجدوه فلما بلغ الامر مسامع القضاة وأعوزهم الشاهد . دعى أبو العلاء فالقى على مسامع الحاضرين كل مادار من القول صغيرا وكبيرا بنفس اللهجة الاعجمية فسبحان الفتاح العليم. وما أظن هناك فى بطون التاريخ من رجال وهبوا مثل هذه الحافظة غير الامام الشافعي أيضا رضيَ اللهُ عنْهُ وأبو جعفر المنصور ويندر لهم المثيل .

***

وقد سافر أبو العلاء من المعرة الى بغداد فأقام بها بعض سنين وهناك صادقه وصافاه أبو القاسم على بن المحسن التنوخي ثم لم يلبث أن أعرض عنه وجفاه

وقد عاد أخيراً الى المعرة ولزم عقر داره فلم يبرح مسكنه

وأطلق على نفسه (رهن المحبسين) يقصد محبس العمي ومحبس الدار وعكف على الأدب واللغة واشتهر فيهما فأم داره العلماء والادباء والفقهاء واستمر هكذا عاكفا على التدريس والتأليف إلى أن أضحي كعبة أهل زمانه من طلاب العلم فقصده العلماء والمتعلمون من كل حدب وصوب ومن لم يسع اليه فقد راسله وكاتبه ومنهم القضاة والوزراء والحكماء والامراء واشتهر بشيخ المعرة

***

هيئته : كان رحمه الله نحيف البدن متوسط القامة واسع الجبهة مجدر الوجه قد ابيضت احدى عينيه وغارت الثانية

مذهبه فى الحياة : وكان يدين بآراء الفلاسفة فى كثير من أمور حياته فلم يا كل اللحم وكان يذهب الى تحريم ذبح الحيوان وتعذيبه لفائدة الانسان ، كما كان يرى أن الوجود في هذه الحياة تعب وشقاء يجره الوالد على ولده ولهذا عاش أعزبا ولم يتزوج فى حياته قط ومن قوله المأثور فى ذلك :

هذا جناه أبي على وما جنيت على أحد

وقد أوصى أن يكتب هذا البيت على قبره

***

مؤلفاته : كان تغمده الله برحمته من أرسخ الناس قدما

العلوم العربية وله مؤلفات عديدة أدبية منها

لزوم مالا يلزم خمسه أجزاء .

سقط الزند وشرحه

رسالة الغفران

ثم عنى بشرح دواوين بعض الشعراء فشرح ديوان أبي تمام وديوان البحترى وديوان المتنبي وكان يعجب بالاخير

***

ومن نوادره أن غلاما صادفه فقال له : ياشيخ ألست القائل

إني وإن كنت الاخير زمانه لآت بما لم تستطعه الاوائل

أجاب نعم أنا صاحبه . فقال الغلام . لقد وضع الأولون حروف الهجاء تسعة وعشرين فهل تستطيع أنت أن تزيدها لنا حرفا ؟ ! فلم يجبه

وقد توفى الى رحمة مولاه بالمهرة سنة ربعمائة تسعة واربعين في يوم الجمعة ثاني ربيع الاول بعد مرض ثلاثة أيام وعمره اذ ذاك ستة وثمانين عام .

محمد يوسف المدرك